MARION WOOLFSON
PROPHETS IN BOSTON
jews In The Arab World
Faber and Faber, London, Boston, 1980

(ماريان ولفسن انبياء بابل : اليهود في العالم العربي)

مراجعة عباس شبلاق

تتناول الصحافية البريطانية ماريان ولفسن ، في كتابها الاخير عن يهود البلاد العربية ، موضوعاً خضع الى كثير من التشويه في الغرب ، على يد الدارسين الصهيونيين الذين سجلوا تاريخ هذه الطوائف بقراءة عكسية تبدأ من اسقاط اجواء العداء ، التي ولدها قيام الدولة الصهيونية ، على التاريخ القريب والبعيد لهذه الطوائف .

وتشير ولفسن باستعراضها التاريخي ، في الفصول الاولى من الكتاب ، الى جملة من الحقائق التي تدحض بقوة المقولات الصهيونية المألوفة ، في تناولها لتاريخ اليهود . فهي تبين على سبيل المثال ، ظروف التسامح التي عاش فيها اليهود في المجتمعات العربية والاسلامية مقارنة مع يهود اوروبا المسيحية، وذلك إذا ما اخذنا بالأعتبار السمات العامة لتلك المجتمعات عبر مختلف الحقب التاريخية والخصائص التي تحكم وضع الاقليات الدينية في أي مجتمع من المجتمعات .

ويوضح الكتاب أن اللاسامية هي بدعة اوروبية ظهرت في ظروف تاريخية معينة ، وهي غير معروفة في الشرق ؛ ولذلك لم يكن مستغرباً ألا تجد الصهيونية السياسية تربة صالحة لها بين الطوائف اليهودية الشرقية . ويمكن القول من حيث المبدأ ، أن هذه الطوائف امتزجت بالمجتمعات التي عاشت بها ، ولعب يهود الشرق دوراً فعالاً في الحياة العامة ، الثقافية والاجتماعية والاقتصادية فيها . ولم تكن فلسطين تشكل، في نظر هذه الطوائف ، اكثر من مركز روحي شبيه بموقع مكة أو القدس بالنسبة للمسلمين .

وثمة نقطة هامة يثيرها استعراض ولفسن التاريخي أيضاً ، في مواقع مختلفة من الكتاب ، تتعلق بالتحولات الاجتماعية التي طرأت على الطوائف اليهودية في المنطقة العربية مع بداية عهد الامتيازات الاجنبية وبسط السيطرة الاستعمارية في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي . ان انفتاح المنطقة أمام المصالح والشركات الغربية ، من جهة ، وقدوم عدد من اليهود الاوروبيين الى المنطقة ضمن الموجات الاستعمارية ، من جهة اخرى ، واعتماد الاستعمار في تكريس نفوذه في المنطقة على اثارة النعرات الطائفية ؛ كل ذلك ادى الى تحولات لا يمكن تجاهلها على صعيد الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية للاقليات ومنها اليهود في المنطقة العربية .

والملاحظ أن تأثير هذا العامل كان متفاوتاً ، فهو واضح في البلدان التي ازداد فيها عدد الوافدين من اليهود الاوروبين ، كما في مصر وبلدان شمال افريقيا ، حيث ارتبط شعور العداء لهؤلاء بنضال شعوب هذه البلدان للحصول على استقلالها وانهاء السيطرة الاستعمارية، بينما كان هذا العامل اقل تأثيراً على أوضاع المجموعات المحلية من السكان الاصليين من اليهود كما في مصر واليمن .

يبقى أن على المهتمين بتسجيل تاريخ اليهود العرب في هذا القرن ، أن يأخذوا هذا العامل الذي جرى تجاهله في الماضي، في اعتبارهم ، وذلك بالتمييز بين